Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROOBA
العروبة
ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

***Volume**: 4* ***Issue**: 2 (April – June 2023)*
Alorooba Research Journal
***ISSN (Print):** 2710-5172* ***ISSN (Online):** 2710-5180*
***HJRS**: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result*
***Issue URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/11*
***Article URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/42*

***Title**:*

القضايا البلاغية في تفسير "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي وتفسير "أضواء البيان" للشنقيطي

Rhetorical Issues in the Interpretation books of "Al-Jame Le Ahkam Al-Quran" & "Adwaa Al-Bayan"

***Authors**:*

Sadia Mir Taj
PhD Scholar, Arabic Department – NUML
E-mail: sadiamirtaj369@gmail.com
Orcid: https://orcid.org/0000-0002-8047-4462

Dr. Salma Shahida
Assistant Prof. Arabic Department – NUML
E-mail: salma.toor47@yahoo.com
Orcid: https://orcid.org/0000-0002-1467-4052

***Indexation**:*
ISSN, DRJI, Euro Pub, Academia, Google Scholar, Asian Research Index, Index Copernicus International, index of urdu journals.

***Citation**:*
Sadia Mir Taj, & Dr. Salma Shahida. (2023). القضايا البلاغية في تفسير "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي وتفسير "أضواء البيان" للشنقيطي: Rhetorical Issues in the Interpretation books of "Al-Jame Le Ahkam Al-Quran" & "Adwaa Al-Bayan". Alorooba Research Journal, 4(2), 321–333. Retrieved from https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/42

***Published:** 2023-06-30*
***Publisher**: Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad- Pakistan*

القضايا البلاغية في تفسير "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي

وتفسير "أضواء البيان" للشنقيطي

Rhetorical Issues in the Interpretation books of "Al-Jame Le Ahkam Al-Quran" & "Adwaa Al-Bayan"

Sadia Mir Taj
PhD Scholar, Arabic Department – NUML
E-mail: sadiamirtaj369@gmail.com Orcid: https://orcid.org/0000-0002-8047-4462

Dr. Salma Shahida
Assistant Prof. Arabic Department – NUML
E-mail: salma.toor47@yahoo.com Orcid: https://orcid.org/0000-0002-1467-4052

Abstract

Interpretations of the Noble Qur'an have generally taken care of the sciences and arts that help in understanding the interpretation of the verse, the intent of the Qur'anic sentence, and the grammatical and syntax issues in it, and the resulting changes in meaning. Among these sciences: the science of grammar, as some interpretations dealt with grammar in detail, such as Tafsir al-Bahr Al-Muhit by Abi Hayyan, and some of them took care of mentioning the important grammatical issues.

The Quranic interpretation (Tafseer) "Adwaa Al-Bayan Fi Idah Al- Qur'an Bil-Qur'an", by Imam Sheikh Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar Al-Shanqeeti (died on 1393 AH), from the aphorism interpretations, his methodology is: Attention to Grammatical issues related to the interpretation of the verse.

An applied study is conducted in this research article on the grammatical issues in the interpretation of "Adwaa Al-Bayan", through the surahs: Al-Israa, Al-Kahf, Maryam and Taha, which are related to the subject of my PhD thesis in the Arabic Language.

Sheikh Muhammad Al-Amin Al-Shanqeeti tends to inclining often in presenting grammatical issues, and he is influenced in grammar by Basrah school of thought, in his grammatical choices and opinions, sometimes he may take the words of the Kufic school as well, indeed he was not an imitator of the two schools without discrimination, but rather studies and discusses opinions, and chooses from the syntax what he used to serve The meaning, as he has opinions on some issues that are unique to them, and he did not precede them, and he does not investigate in conveying all opinions, but rather he transmits and lists what was closest to the truth, and he may separate and elaborate on some grammatical issues, especially those related to matters of faith, or the provisions of jurisprudence or direct readings.

Keywords: *Noble Qur'an, Interpretation, "Adwaa Al-Bayan", "Al-Jame Le Ahkam Al-Quran", Rhetoric.*

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، منزل القرآن الحكيم، هدى ونورا ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد

فإن علم البلاغة من الفنون التي تعتمد على دقة إدراك الجمال، وتؤدّي البلاغة المعنى الجليل بشكل واضح من خلال عبارات فصيحة صحيحة، تقع في النفس موقعًا خلابًا. والبلاغة أيضا: حسن إيصال المعلومة أو الخبر، باللفظ الواضح الدّال الملائم لواقع الحال.

وأمّا اصطلاحًا: فهو الإتيان بالمعنى الجليل بوضوح وبعبارة فصيحة وصحيحة.

والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته. فسمّيت البلاغة بهذا الاسم؛ لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. وسمّيت البلغة بلغة؛ لأنك تبلّغ بها.(١)

فالبلاغة اسم يمدح به الكلام، وقد اعتنت تفاسير القرآن الكريم بصورة عامة بالعلوم والفنون المعيْنة على فهم تفسير الآية، ومراد الجملة القرآنية، وما فيها من قضايا النحو والتركيب، والبلاغة، وما ينتج عنها من تغيرات في المعنى، ومن تلك العلوم: علم البلاغة، وبعض التفاسير تناولت البلاغة القرآنية بصورة مفصلة، مثل: "الكشاف" للزمخشري، و"أنوار التنزيل" للبيضاوي، و"مفاتيح الغيب" للفخر الرازي، و"الدر المصون" للسمين الحلبي، و"التحرير والتنوير" لابن عاشور، وغيرها.

وتفسير "الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي، من التفاسير القيمة، التي اختصت بذكر الأحكام الفقهية في القرآن الكريم، كما أن لهذا التفسير اهتماماً بالبلاغة.

أما تفسير "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، للعلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، فهو من التفاسير بالمأثور، ومن منهجه: الاهتمام بقضايا البلاغة المتعلقة بتفسير الآية.

وقد أجريت دراسة تطبيقية على القضايا البلاغية في تفسيري "الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي، وتفسير "أضواء البيان" للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، من خلال سور: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، مما يتعلق بموضوع أطروحتي للدكتوراه في اللغة العربية.

ويشتمل بحثي هذا على مبحثين، وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: القضايا البلاغية في تفسير "الجامع لأحكام القرآن".

المبحث الثاني: القضايا البلاغية في تفسير "أضواء البيان".

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

المبحث الأول: القضايا البلاغية في تفسير "الجامع لأحكام القرآن".

"الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي، من التفاسير التي قلّلت من العناية بعلم البلاغة بصورة عامة، لسببين رئيسيين، هما:

أولاً- أن الإمام القرطبي قد سار في ذلك على طريقة المفسرين الأندلسيين الذين يرون حمل تفسير القرآن الكريم على الحقيقة، وعدم الاعتراف بالمجاز وإن كان محتملا.

ثانياً- أن الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تفسير فقهي، اعتنى بالأحكام الفقهية، إلا أنه لم يغفل الجانب البياني والبلاغي في تفسيره، فكانت له لفتات بلاغية، حيث اقتضى الأمر.

فعلى سبيل المثال: ذكر الإمام القرطبي عدة مباحث بلاغية من علم المعاني، وفصّل القول فيها، مثل:[٢]

١- الأمر.

وله معانيه ودلالاته البلاغية المتعددة، وإتيانه لعدة معان، مثل: الدعاء، والإباحة، والإكرام، والتعجيز، والتهديد، والندب، والاستخفاف، والتخيير، والتسخير.

وقد اهتم الإمام القرطبي بصيغة الأمر في الآيات القرآنية، ببيان معانيه ودلالاته.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾.[٣] أي: هو دعاء عليهم بأن يديم الله غيظهم حتى يموتوا.

٢- الاستفهام.

وقد ذكر الإمام القرطبي أقسامه المتعددة، مثل: الإنكاري، التوبيخي، التقريري، مع بيان المعاني التي يخرج بها الاستفهام عن معناه الحقيقي إليها، مثل: الأمر، والتهديد، والدعاء، والتمني، والتكثير، والتقرير، والتوبيخ، والتذكير، والإنكار، والتعظيم، والتعجب، والاستهزاء، وغيرها.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾.(٤) فهذا الاستفهام للإنكار، أي: لا أحد أحسن. والقصد منه التوبيخ.

٣- التقديم والتأخير.

وهذا الباب من أعظم الأبواب البلاغية شأناً، وله أسراره التي بينها العلماء والمفسرون والبلاغيون، وقد سلك الإمام القرطبي منهجاً وسطا في بيان التقديم والتأخير في الآيات الكريمة، وأسرارها البلاغية، إذ ينبه القرطبي على وجود التقديم والتاخير في الآية؛ من أجل فهم النص القرآني الكريم، وتوجيه المعنى حسب السياق، وتارةً يصحح هذا الأسلوب، وأحياناً يرده ولا يقبله.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.(٥) فبين أن تقديم المفعول على فعله للاهتمام، ولكيلا يتقدم العبد والعبادة على المعبود سبحانه.

٤- التعريف والتنكير.

التعريف والتنكير من المباحث المشتركة بين علم النحو وعلم البلاغة، وقد اهتم الإمام القرطبي في الغالب بالاتجاه النحوي للتعريف والتنكير، أما الاتجاه البلاغي للتعريف والتنكير فقليل عنده، ومن أمثلة مناقشته للتعريف: بيان نوع (ال) هل هي للعهد أم للجنس أم للاستغراق.

كما ناقش القرطبي ما كان لفظه لفظ المعرفة وحكمه حكم النكرة، مثل: (غير)، وقد فصل القول فيها في الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.(٦)

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾.(٧)

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾.(٨)

وأراد الإمام القرطبي أن صحة وصف الأسماء المعرفة لفظة (غير) مع أنها غير معرفة؛ لشدة إبهامها، فالأسماء التي قبل (غير) في حكم النكرة، فالمراد بكلٍ من (الذين أنعمت عليهم) و(القاعدون)، و(التابعين) ليس أفراداً بعينهم، بل الجنس.

كما أشار القرطبي إلى قضية استغراق المفرد، واستغراق الجمع.

كما ذكر المعاني المستفادة من التعريف بالإضافة، مثل التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾.(٩) من إضافة الناقة إلى الله.

وقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.(١٠) والشاهد: روح منه. وقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾.(١١) من إضافة البيت إلى ذاته سبحانه.

كما ذكر الإمام القرطبي بعض الأسرار البلاغية لتنكير بعض الألفاظ القرآنية الكريمة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾.(١٢) فدية مسلمة: بصيغة النكرة تفيد الشيوع وعدم التعيين، ليس يقتضي ديةً بعينها.

٥- الحذف.

وقد ذكر الإمام القرطبي عدة موضوعات متعلقة بالحذف، مثل: حذف المفعول، حذف جواب الشرط، حذف الفاعل، حذف المضاف، حذف الجملة، حذف المبتدأ، حذف الخبر، حذف جواب القسم، حذف القول.

ومن أكثر المواطن التي ذكرها الإمام القرطبي في الحذف في تفسيره: حذف الفعل وحذف الفاعل، وقد يسمي الحذف أحياناً بالإضمار، وله قاعدة في الحذف بأنه لا يكون إلا للضرورة، ومع وجود الدليل على المحذوف.

ومن أمثلة الحذف قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾.(١٣)

فجواب الشرط لو محذوفٌ؛ للمبالغة في التخويف، حين يذهب الوهم إلى كل شيء.

٦- الالتفات.

وقد اعتنى الإمام القرطبي ببيان أسلوب الالتفات في تفسيره في الآيات التي ورد فيها، وبيّن أغراضه البلاغية التي جاء لأجلها، واقتصر أحياناً على بيانه فقط، كما قد سماه أحياناً بتسميات أخرى، مثل: تلوين الخطاب، والرجوع أو الخروج من الخطاب إلى الغيبة، والإبدال.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾.(١٤) فالسورة من بدايتها ثناء على الله تعالى، وخبر عنه سبحانه.

٧- الإظهار في موضع الإضمار.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٥٩﴾.(١٥) فتكرر لفظ (ظلموا) مرتين، دون إضمار.

٨- القسم.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١﴾.(١٦)

وقد بين الإمام القرطبي العلة في قسم الله تعالى بالتين؛ لأنه كان ستراً لآدم في الجنة، أما الزيتون فقد مثل به إبراهيم، ولأنه إداه أهل الشام.

٩- الإيجاز.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّى ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾.(١٧)

ففي هذه الآية إيجاز القصر، وفيها خمسة أحكام.

كما ذكر الإمام القرطبي مجموعة من مصطلحات علم البيان، وعلّق عليها، مثل:

١- الحقيقة والمجاز.

من أساليب القرآن الكريم يتعرّض القرطبي لنوع البلاغة وهو المجاز، والمجاز كما نعلم هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح المتخاطب لعلامة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الوضعي فالمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى لهذا اهتمت العرب باستعمال المجاز ليميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، وكما جاء في "اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب" عن المجاز:

هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له علامة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، فإن كانت علاقته المشابهة سمي استعارة وإلا فمجازا مرسلا أو مركبا أو عقليا.(١٨)

سلك الإمام القرطبي مسلك الاعتدال في القول بالحقيقة والمجاز، فالأصل حمل المعاني على الحقيقة، وهي مقدمة على المجاز، وقد يحمل المعنى على الحقيقة والمجاز معاً، ولا يصار إلى المجاز إلا إن وجدت قرينة صارفة للمعنى عن مراده الحقيقي إلى معناه المجازي.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلۡبُهُۥۗ﴾.(١٩) فخص القلب بالذكر؛ لأن الكتمان من أعمال القلوب، وهو مجاز.

ومن أمثلته قوله تعالى: {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا}.(٢٠)

يذكر القرطبي بأن كلمة "ينقض" في الآية دليل على وجود المجاز في القرآن، وأن جميع الأفعال التي حقها أن تكون للحي الناطق إذا أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنها تعد استعارة، وهذا أسلوب بلاغي معروف عند العرب، ومن أمثلة ذلك في كلام العرب قول الأعشى:

أتنتهون وإن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل.(٢١)

فأضاف النهي إلى الطعن.

٢- التشبيه.

اعتنى الإمام القرطبي ببيان التشبيه وأركانه، والغرض منه، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.(٢٢) فهو تشبيه بليغ حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه.

٣- الاستعارة.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾.(٢٣)

٤- الكناية.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾.(٢٤) فهي كناية عن الجماع، والله عز وجل كريمٌ يكنّي.

٥- التعريض.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.(٢٥)

أما علم البديع؛ فلم يهتم الإمام القرطبي به مثل اهتمامه بعلمي البيان والمعاني، بل لم يذكر فن البديع بهذا المصطلح، والسبب يرجع إلى نظرة العلماء آنذاك إلى فن البديع كمكملٍ للبيان والمعاني، ومنهم السكاكي، في حين أن البديع أدرج فنا مستقلاً في عصر لاحق، حين أفرده ابن مالك في كتابه "المصباح".

المبحث الثاني: القضايا البلاغية في تفسير "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن".

(١) قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾.(٢٦)

المجاز من الوسائل البلاغية التي تكثر في كلام الناس، ومن أحسن الوسائل البيانية.

ومعنى المجاز لغة: هو التجاوز.

وأما في الاصطلاح: معناه أن يذكر اللفظ في الجملة بغير معناه الحقيقي، بل يكون المعنى له قريب من المعنى الحقيقي.

نرى الشنقيطي يذكر كثيرا في تفسيره عن المجاز الوارد في الآيات الكريمة كما في هذه الآية في "إرادة الجدار لإنقاض" فيقول في هذه الآية أكبر دليل للمجاز موجود هو أن ولا يمكن أن تكون هذه في الحقيقة، وإنما هي يكون في المجاز.

قد دلت على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة، لأن الله تعالى يعلم للجمادات إرادات وأفعالا وأقوالا، لا يدركها الخلق كما صّرح ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.(٢٧)

ومن الآيات الدالة على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.(٢٨)

فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت، وأشفقت أي خافت، دليل على أن ذلك واقع بإرادة يعلمه هو جل وعلا ولا نعلمه نحن.

وهذا من أساليب العربية إطلاق الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء كما في قول الشاعر:(٢٩)

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل.(٣٠)

فيريد الرمح أي يميل إلى صدر أبي البراء لا من دماء هؤلاء.

(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾.[٣١]

الجناس هو أحد المحسنات البديعية من علوم البلاغة وهو اتحاد اللفظين في الجنس واتفاقهما في النطق واختلافهما في المعنى كما قال عبد الملك الثعالبي التجنيس: أن يجانس اللفظ في الكلام والمعنى مختلف.[٣٢] وهو فنّ يوهم القارئ أولا بتكرار الكلمة، لكنه يفاجئه فيما بعد باختلاف المعنى مع تشابه اللفظ. فالجناس من المحسنات اللفظية إذا أنه يعتمد على التحسين في الكلمات من ناحية اللفظ.

أورد الشنقيطي في الآية المذكورة كلمتين "يحسبون ويحسنون" فيهما الجناس السمى عند أهل البديع "تجنيس التصحيف" وهو أن يكون النقط فرقا بين الكلمتين. والشاهد على ذلك قول البحتري:

ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجزوا المعتز بالله طالبه.[٣٣]

فبين المغتر والمعتز لجناس المذكور.

(٣) قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾.[٣٤]

"الاستعارة نوع من المجاز اللغوي في علم البلاغة وهو يشابه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الآخر المختلف والذي تود إيصاله بالجملة.[٣٥]

عرف الجاحظ الاستعارة بأنها تسمية الشيء باسم غيره إذ قام مقامه ورجع بعض المثل إليها.[٣٦]

فنرى الشنقيطي يلمح إلى هذا القسم من علوم البلاغةفي تفسير هذه الآية، فيقول في جملة "اشتغل الرأس شيبا" استعارة فالمراد باشتعال الرأس شيبا: انتشار بياض الشيب فيه. فشبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر. ومثل هذا التعبير عن انتشار بياض الشيب في الرأس، باشتعال الرأس شيبا أسلوب من أساليب اللغة العربية جاء القرآن به ونظير هذا قول الشاعر:[٣٧]

ضيعت حزمي في إبعادي الأملا وما ارعويت وشيبا رأسي اشتعالا.(٣٨)

(٤) قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾.(٣٩)

من أغراض الأساليب البلاغية للاستفهام "التقرير"، ويعدّ أسلوب الإستفهام من الأساليب البلاغية الراقية.

ومن أغراض الاستفهام للبلاغة "التقرير" ذكر عنها الشنقيطي فقال المراد من الإستفهام للتقرير هو حمل المخاطب على أن يقول "بلى" أي أن تطلب من المخاطب أن يقر بما يسأل عنه نفيا أو اثباتا، لأي غرض من الأغراض التي يراد بها التقرير كما في قوله تعالى المذكور: "ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا" يعني وعدكم ربكم وعدا حسنا، فحمل الله الإنسان المخاطب على الإقرار فيقول "بلى" ونظير هذا من كلام العرب قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راحٍ.(٤٠)

كما يذكر عبد العزيز عتيق عن الاستفهام للتقرير.

وهو الحمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتا و نفيا لغرض من الأغراض.(٤١)

(٥) قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾.(٤٢)

علم البديع فرع من فروع علم البلاغة وهو الجزء الذي يهتم بتحسين الكلام لفظيا ومعنويا، ومن أقسام علم البديع المحسنات البديعية وهي المحسنات تهتم بتزيين الألفاظ أو المعاني، وتنقسم المحسنات البديعية إلى:

١- محسنات لفظية (تتعلق باللفظ).

٢- محسنات معنوية (تتعلق بالمعنى).

فيشير الشنقيطي في تفسير هذه الآية إلى محسنات معنوية فيقول من أقسام المحسنات المعنوية "مراعاة النظير" وهو الجمع بين الشيء وما يناسبه في المعنى دون التضاد. وفائدته تقوية المعنى و تأكيده.

كما أشار الشنقيطي أن في هذه الآية الكريمة أتى سبحانه وتعالى بمثل هذه الكلمات وهي الجوع والعري، والظمأ والضحى، فكلها من أصناف متناسبة دون التضاد، ذكرها الله تعالى بلفظ والآيات الدالة الأخرى، مثلها: كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ۝٥﴾.(٤٣) فإن الشمس والقمر متناسبان وكما قال صاحب اللباب في قواعد اللغة: عن تعريف هذا النوع من البديع المعنوي: "هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا...".(٤٤)

وأتى الشنقيطي الاستشهاد لتأييد هذا قول البحتري:

كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار.(٤٥)

فيبين البحتري الأسهم والقسي المعطفات والأوتار لمناسبة في الرقة، وإن كان بعضها أرق من بعض، وهي مناسبة لا بالتضاد.

وأمثلة هذه كثير معروفة في فن البلاغة.

وأتى الشنقيطي الاستشهاد الثاني لهذه قول ابن رشيق:(٤٦)

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترديها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم(٤٧)

فقد ناسب بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور.

المصادر والمراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٩٩٥م.

٢. الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط/ ٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٣. الاتجاه البياني في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، محمد رضا حسن الحسن، إشراف: د. مصطفى إبراهيم المشني، رسالة ماجستير في التفسير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية — الأردن.

٤. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣م.

٥. الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/ ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٦. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي محمد البخاري، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٧. فقه اللغة وسر اللغة، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط/ ١، ٢٠٠٢م.

٨. علم البيان، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د. ت.

٩. علم المعاني، الدكتور عبد العزيز العتيق، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، ط/ ١، د. ت.

١٠. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة: محمد على السراج، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٣م.

١١. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٣٨١هـ.

الهوامش

(١) انظر: الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي محمد البخاري، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ٦/١، الناشر المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٢) الاتجاه البياني في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، محمد رضا حسن الحسن، إشراف: د. مصطفى إبراهيم المشني، ص: ٣٠ – ٣٦، رسالة ماجستير في التفسير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية – الأردن.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٨) سورة النور، الآية: ٣١.

(٩) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(١٠) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(١١) سورة الحج، الآية: ٢٦.

(١٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(١٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٧.

(١٤) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(١٥) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(١٦) سورة التين، الآية: ١.

(١٧) سورة المائدة، الآية: ١.

(١٨) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل ، محمد على السراج، ١٧٣/١.

(١٩) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٢٠) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٢١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٢٣/٦.

(٢٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢٣) سورة مريم، الآية: ٤.

(٢٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٢ – ٦٣.

(٢٦) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٢٧) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢٨) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢٩) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن، ٤١٠/١، لم أجد قائله.

(٣٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام الشنقيطي، ١٧٩/٤.

(٣١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٣٢) فقه اللغة وسر اللغة، عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت) عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٧٩/١.

(٣٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٩٤/٤.

(٣٤) سورة مريم، الآية: ٤٠.

(٣٥) علم البيان، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ١١/٢.

(٣٦) انظر: البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١٩٢/١.

(٣٧) قائل هذا البيت لم أجده.

(٣٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٢٠٥/٤.

(٣٩) سورة طه، الآية: ٨٦.

(٤٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٤٩٥/١.

(٤١) علم المعاني، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، ط/١، ٩٩/١.

(٤٢) سورة طه، الآية: ١١٨ – ١١٩.

(٤٣) سورة الرحمن، الآية: ٥.

(٤٤) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة: محمد على السراج، ١/ ١٨١، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٤٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٥٢٦/٤.

(٤٦) هو: الحسن بن رشيق القيرواني، أديب نقاد، باحث كان أبوه من موالي الأزد تعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان ومدح ملكها واشتهر فيها. انظر: الأعلام، للزركلي، ١٩١/٢.

(٤٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٥٢٧/٤.